تقديم فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد الرحيم البخاري -حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نَحمدُه، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أَنفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدهِ اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلا هَادي لَه، وَأَشهدُ أن لا إِلَه إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ لَهُ، وأَشهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه وَرَسولُه ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أمَّا بعد:

فعن أَنَسِ بن مالكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انصُر أخاكَ ظَالمًا أَو مَظلُومًا**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظلُومًا، أَفَرَأَيتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيفَ أَنصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحجُزُهُ أَو تَمنَعُهُ مِن الظُّلمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصرُهُ**»(١).

وفي الصَّحيحين(٢) من حَديثِ ابنِ عُمرَ ﷺ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ، لَا يَظلِمُهُ ولَا يُسلِمُهُ...**» الحديث.

قالَ الحافظُ ابنُ حَجرٍ في (الفَتح) (٥/ ٩٧): «قوله: (**لا يَظلِمُهُ**): هُو خَبَرٌ بِمَعنىٰ الأمرِ، فَإِنَّ ظُلمَ المُسلِمِ لِلمُسلِمِ حَرَامٌ.

وقَوله: (**لا يُسلِمُهُ**): أي لَا يَتركهُ مَعَ مَن يُؤذيهِ ولَا فِيمَا يُؤذيهِ، بَل يَنصُرُهُ ويَدفَعُ عَنهُ، وهَذَا أَخَصُّ مِن تَركِ الظُّلمِ، وَقَد يَكُونُ وَاجبًا، وَقَد يَكُونُ مَندُوبًا بِحَسب اختِلَافِ الأحوَالِ..».

وَقالَ الحَافِظُ ابنُ رَجبٍ الحنبليّ فِي (جامع العُلُوم والحكم) (٢/ ٢٧٣-ط الرسالة) شارحًا قوله ﷺ: «المُسلِمُ أَخو المُسلم، لا يَظلمهُ ولا يَخذله ولا يَكذبه ولا يَحقرهُ» قَال:

«وأيضًا، فَإِنَّ الأخَ مِن شَأنهِ أَن يُوصِلَ إلىٰ أخيهِ النَّفعَ، ويَكُفَّ عنه الضَّررَ، وَمِن أَعظَمِ الضُّرِّ الَّذي يَجبُ كَفُّه عَن الأخ المُسلِمِ الظُّلم، وهَذا لا يَختصُّ بالمسلم، بل هُو مُحَرَّم في حقِّ كلِّ أحدٍ...

إلىٰ أن قال: ومن ذلك: خِذلَانُ المُسلِم لأخيهِ؛ فَإِنَّ المؤمن مَأمورٌ أَن يَنصُر

---

(١) رواه البخاريُّ في (الصَّحيح) (رقم ٦٩٥٢).

(٢) البخاري (رقم ٢٤٤٢)، ومسلم (رقم ٢٥٨٠).

أَخَاهُ، كمَا قَاله ﷺ: «**انصُر أَخَاك ظَالمًا أو مَظلُومًا**». قالَ: يا رسول الله، أَنصُرُهُ مَظلُومًا، فَكيفَ أَنصُرهُ ظَالِمًا؟ قالَ: «**تَمنعهُ عَن الظُّلم، فذَلك نَصرُك إيَّاه**»، خرَّجه البُخَاري بمعنَاهُ مِن حَديثِ أَنَسٍ، وخرَّجهُ مُسلمٌ بمعناه من حَديثِ جَابرٍ».

فَانطِلاقًا مِن هذه النُّصوصِ النَّبويَّة وغيرها، قَامَ الأخُ الفَاضلُ الشَّيخُ أحمد ابن يحيىٰ الزَّهراني -وفَّقه الله- ببعض الحَقِّ الواجبِ عَلينا تجاهَ شيخنَا العَلَّامَة المُجَاهدِ المُحَدِّثِ رَبيع بن هَادي -حفظه الله-.

وَمَعلُومٌ أنَّ لشُيوخنا وَعُلمَائنا -عُلمَاء أهلِ السُّنَّة- عَلينا وَاجبَات كَثيرة؛ فَقَد أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بأنَّ العُلماءَ هُم ورثةُ الأَنبياء[1]، ولَهُم مِنَ الحُقُوق مثل مَا لِمورثهم ﷺ.

قَالَ الإمام ابن القيِّم فِي مفتَاح دار السعادة (١/ ٦٣-٦٨) شَارحًا الحديثَ:

«فَهَذا من أَعظَم المَنَاقب لأَهلِ العِلم؛ فَإنَّ الأنبياءَ خَير خَلق الله، فَورثَتُهُم خَير الخَلق بَعدَهم، وَلمَّا كانَ كُلُّ مُوَرثٍ يَنتَقلُ مِيرَاثهُ إلىٰ وَرَثته إذ هُمُ الَّذين يَقُومون مقَامَه مِن بعده، ولَم يَكن بَعد الرُّسل مَن يقومُ مقَامهم فِي تَبليغِ مَا أُرسِلُوا به إلَّا العُلَماء؛ كَانوا أَحقَّ النَّاس بِمِيرَاثهم.

وَفِي هَذا تَنبيهٌ علَىٰ أنَّهم أَقرب النَّاس إليهم، فإنَّ الميراثَ إنَّما يكونُ لأقربِ النَّاس إلىٰ الموروث، وهَذا كما ثبتَ فِي ميراثِ الدُّنيا والدَّراهم فكذلكَ هُو في ميراثِ النُّبوَّة، والله يَختصُّ برحمتهِ مَن يَشَاء.

وَفيه أيضًا أمرٌ للأمَّة بطَاعَتِهم واحتِرَامهم وتَعزِيرهم وَتَوقيرهم وإجلالِهم؛

(١) كمَا في (السُّنَن) لأبي داود (٤/ رقم ٣٦٤٢) وغيره، وَحَسَّنه حمزة الكناني كما في (الفتح) (١/ ١٦٠)، والعَلَّامة الألباني في (صحيح الترغيب) (١/ حاشية ح رقم ٧٠/ ص ١٣٩).

فَإِنَّهم وَرَثَةُ مَن هَذه بَعض حُقُوقهم عَلَىٰ الأمَّة وَخُلَفاؤهم فيهم.

وفيه تَنبيهٌ عَلىٰ: أنَّ مَحبَّتَهُم مِنَ الدِّينِ وبُغضَهُم مُنَافٍ للدِّين كَمَا هُو ثَابتٌ لِمَوْرُوثِهِم،وكذلكَ مُعَاداتُهم ومَحَاربَتُهم مُعَادة ومُحَاربة لله، كمَا هو في موروثهم، قَال عليٌّ ﷺ: محبَّةُ العُلَمَاء دِينٌ يُدَان بِهِ». انتَهىٰ كَلَامهُ رَحِمَهُ اللهُ.

وأسندَ ابنُ أَبِي شَيبة في (المصنَّف) (١٣/ ٤٩٦) عَن أبِي قِلَابَة الجَرميّ أنَّه قَالَ: «مَثَلُ العُلَمَاء مَثل النُّجُوم الَّتي يُهتَدَىٰ بِهَا، والأعلَام الَّتي يُقتَدىٰ بِهَا، إذَا تغيَّبت عَنهُم تَحيَّروا وإذَا تَركُوها ضَلُّوا».

وهذا البحثُ المعنون له بـ:

(إتحافِ أَهلِ الصِّدقِ وَالعِرفَان

بِكَلامِ الشَّيخِ رَبيع فِي مَسَائلِ الإيمَانِ)

اشتَمَلَ عَلىٰ أَربَعَةِ فُصول، وتَحتَ كُلِّ فصلٍ مبَاحِث، وَالفُصُول هيَ:

الفصل الأوَّل: الإيمان.

الفصل الثَّاني: العملُ والإيمان.

الفصل الثَّالث: جنس العمل.

الفصل الرَّابع: التَّحذير مِنَ الفِرَقِ المُخَالفةِ لِمَنهجِ السَّلف فِي مسائل الإيمان.

وإنَّ مِن فَضلِ الله عَليَّ وكَرمِهِ أن قَرَأتُ البَحثَ كاملًا، فَوجدتُ أنَّ الأخَ الفَاضلَ النَّبيه أحمد الزَّهراني-حفظه الله-، قد قَامَ بِجُهدٍ مُبَاركٍ، يُشكَرُ ويُثنىٰ عَليه بِهِ، وذلكَ بِجَمعِ هَذه المَادَّة العِلميَّة المَنثُورة -في بُحُوث ومَقَالاتٍ ونَحوها- من كَلام شيخنا -حفظه الله-، فجزاه الله خيرًا وأجزلَ له المثوبة.

ثم إنَّ فِي هذا الجمعِ فَوائدَ عَديدة -حقًّا- لِمَن تأمَّل البحثَ بإنصافٍ وتَجرُّدٍ، فَمنها مثلًا:

١- بَيَانُ ونُصرةُ الحقِّ وأهله.

٢- الدِّفاعُ بالحقِّ عن شيخنَا -حفظه الله-، وأنَّه علَىٰ عَقيدةِ ومِنهَاجِ أئمَّة أَهلِ السُّنَّة مِن سَلَفِ الأُمَّة المَرضِيِّين.

٣- إزالةُ مَا يَكُونُ قَد عَلق عندَ بَعضِ المخدوعين بِسَببِ تَشغيبِ أَهلِ البَاطِلِ.

٤- إخرَاسُ وقَطعُ أبواقِ أَهلِ البَاطِلِ والفتنِ، فِيمَا شَغَّبوا به علىٰ شَيخِنَا فِي هَذه المَسَائلِ، وبغَىٰ بها عليه، قَالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورىٰ:٣٩]؛ أي مِمَّن بَغَىٰ عَليهم مِن غَير أن يَعتَدُوا[1].

وغيرها كثيرٌ مِمَّا سَيَجدُه القَارئ المنصفُ الباحِثُ عَنِ الحَقِّ بِحَولِ الله تَعالَىٰ.

وقَبلَ أن أختِمَ هَذه التَّقدمة أُشيرُ إِلَىٰ أَنِّي كُنتُ قَد كَتَبتُ مَقَالًا فِي عام ١٤٢٨هـ، تَقريبًا نُشرَ في شبكة سحَاب السَّلفية، وطُبعَ ضمنَ عِدَّة مقالاتٍ لي بعُنوان: **(المقالات الشَّرعية) (المَجمُوعة الأُولىٰ) قدَّمَ لها: شَيخنا العلَّامة المُحدِّثُ أَحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشَيخنا العلَّامة الفَقيه زيد بن هَادي المدخلي -حفظه الله-.**

وكانَ المَقالُ فِي الذَّب بالحقِّ عن شيخنَا العلَّامة المجاهِد ربيع بن هادي المدخلي- حَفظه الله وردَّ عنه كيد الأعادي-.

---

(١) ينظر (الفتح) (٥/ ٩٩).

ومِمَّا قَالَهُ الشَّيخان فِي تَقدمتهما، قَولُ شيخنا العلامة أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«... وَاصَلَ المُؤلف -وفَّقهُ الله- في المقالة الخامسة: أنَّ من الذَّب عن السُّنَّة الذَّب عن حملتها، الَّذين أفنوا أعمارهم في جمعها، وتدوينها، وتعلمها، وتعليمها، وإنَّ مِن نَصرِها نَصر حملتها الذين دعوا إليها، وإلىٰ العمل بها ممن جعلوهم غرضًا لألسنتهم وأقلامهم.

فسلَّطوا عليهم الاتهامات، ورموهم بالافتراءات، وأخبر أنَّ نصرهم يعدُّ نصرًا للشريعة التي حملوها، والسنَّة التي عُودُوا من أجل الالتزام بها، والدعوة إليها؛ فصاروا بذلك غرباء في الأوطان، ومحتقرون بين القرابة، والخِلَّان؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون...».

وَقَولُ شيخنا العلَّامة زيد بن هادي -حفظه الله-: «...كما خَتَمَ هَذه المقالة بِتَطبيقِ النَّص الكريم **(انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)**، وذلك بما أبداهُ مِنَ الدِّفاع بالحقِّ عن الشَّيخ العلَّامة ربيع بن هادي عمير مدخلي، الذي دون في كتبه كلمات الحقِّ، فاغتاظ منها من قلَّ نصيبهم من العلم وابتلوا بالتقليد المضر والتعصب الذميم.

وبجانب هذا الدفاع تحدث عن أخلاق السلف الصالح ومواقفهم الشريفة في نصرة السنة ومحبة أهلها، وتأميرهم لها علىٰ أنفسهم، فسادوا بذلك وسقط أهل البدع والضلال بمخالفتهم للمحجة وردهم للحجة.

ولقد سرَّني استشهاد كاتب المقالات الشَّيخ عبد الله بن عبد الرحيم البخاري علىٰ عناية الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بالسُّنة الكريمة بأقوال عالمين جليلين معاصرين، امتلأت الدنيا بمؤلفاتهما العظيمة، وطار صيتهما في الآفاق القريبة

والبعيدة ألا وهما: الإمام العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ والإمام العلامة الفقيه الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلقد سئل كلٌّ منهما عن الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، فأفادا بما أملاه كاتب المقالات من أقوالهما في هذه المقالة، فاقرأه أيها القارئ قراءة منصفٍ ودع مقالة كل قادحٍ في أهل السنة فإنَّ القادحَ في أهل السُّنَّة ظَلومٌ ومسرفٌ..».

وَالمَقَالَةُ المشَار إليها هِيَ الثَّانية فِي (سلسلة الذَّب عن سنة رسول الله ﷺ)، ومِمَّا ذَكرتُ فيها أن قُلتُ: «.... فهذِهِ المَقَالَةُ الثَّانية فِي هَذه السِّلسلة المُبَارَكَةِ -إن شَاء الله تعالىٰ-، وأَتَنَاولُ فيها الذَّب عَن عِرضِ أَحَدِ حَمَلَةِ سُنَّة النَّبي ﷺ وحُمَاتِها.

إذ مِنَ المعلوم شَرعًا: أنَّ الذَّبَّ عَن أهلِ الحَقِّ ذبٌّ عَنِ الحَقِّ؛ فهم حَملته الدَّاعون إليه، ورَّاث النُّبوة!...

إلىٰ أن قلتُ: ... ولَا يَخفَىٰ عَلَىٰ مُدركٍ مَا تَشهَدهُ السَّاحة اليَومَ مِن تَطاولٍ وجُرأة ووَقَاحةٍ عَلَىٰ العِلمِ وأهلِهِ؛ خَاصَّة عُلماء أهل السُّنَّة المشهودِ لَهم بِبَيانِ الحَقِّ ودَحرِ البَاطل وأهلِهِ.

وَهَذا التَّطاول لَهُ صورٌ وأشكالٌ عَديدة؛ وأَهلهُ وإن اختَلفت مَشَاربهم إلَّا أنَّه يَجمعهم الهَوىٰ والحَنَقُ علَىٰ الحَقِّ وأهلِهِ!!

ولست في صدد بيان البواعثِ والدَّواعي!! فهي كثيرةٌ - ولعلي أشير إلىٰ بعضها فيما سيأتي- لكن لا يَضرُّ ذلك أهلَ الحقِّ شيئًا، بل يزيدهم ثَباتًا وصُمُودًا في وجهِ البَاطلِ وأهلِهِ، ذَلكَ أنَّهم علَىٰ الحَقِّ، وَقَائمونَ بِدينِ الله علَىٰ عِلمٍ وَعَدلٍ، قَال الله تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾.

وإنني أُسَلِّي عُلمَاءنا أهل السُّنَّة السَّلفيين بقَولِ وَرَقَة بن نوفل لرسُولِ الله ﷺ لما جَاءت بِهِ خَديجة رضي الله عنها إليه وأَخبَرهُ بِمَا رآهُ فِي غَار حِراء مِنَ الوَحي، قَال: يَا لَيتَنِي كُنتُ فِيهَا جَذَعًا، لَيتَني أكونُ حَيًّا إذ يُخرِجُك قَومكَ.

فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَمُخرجيَّ هُم؟» قَال: نَعَم، لَم يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثل مَا جِئتَ به إلَّا عُودي..[1].

وبقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في (مدارج السالكين) (٣/ ١٩٦ -٢٠٠) شارحًا حديث (الغُرباء) قَال:

«.. والمؤمنونَ في أهلِ الإسلَامِ غُرباء، **وأهَلُ العِلم** فِي المُؤمنين غُرَباء، وأهلُ السُّنَّة الَّذين يُمَيزونها مِنَ الأهواء والبِدَعِ فيهم غُرباء، **والدَّاعون إليها الصَّابرون علىٰ أذىٰ المخالفين هم أشد هؤلاء غربة.**

ولكنَّ هَؤلاء هُم أهل الله حقًّا فَلَا غُربَةَ عَليهم، وإنَّما غُربَتُهم بَين الأكثَرين الَّذين قالَ الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾.

فَأُولئكَ هُمُ الغُرَبَاءُ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ، وَغُربَتُهُم هيَ الغُربَةُ المُوحِشَة، وإن كَانوا هُم المَعرُوفين المُشَار إليهم...

إلىٰ أن قال: بل الإسلَام الحق الَّذي كانَ عليه رسولُ الله وأَصحَابُه هُو اليَوم أشدّ غُربةً مِنهُ فِي أوَّل ظُهُورِهِ، وإن كانَت أَعلَامهُ وَرُسُومهُ الظَّاهرة مَشهورة معروفة، **فالإسلامُ الحَقيقيُّ غَريبٌ جدًّا وأهلُهُ غُرباء أشدّ الغُربة بين النَّاس.**

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًّا غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، **ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفةِ ما جاء به الرَّسول...**

---

(١) الحديث في (صحيح البخاري) (كتاب بدء الوحي) (١/ رقم ٣/ ٢٣-فتح الباري).

فَإذَا أرادَ المُؤمنُ الَّذي قَد رَزَقهُ اللهُ بَصيرةً فِي دِينهِ وَفِقهًا في سُنَّةِ رسولهِ، وَفَهمًا فِي كتَابهِ وَأَراهُ ما النَّاسُ فيهِ مِنَ الأهوَاء وَالبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَتَنكُّبهم عنِ الصِّراطِ المُستَقيم الَّذي كانَ عليه رَسُولُ الله وأَصحَابه.

فإذَا أرادَ أن يَسلكَ هَذا الصِّراط فليُوطِّن نفسَهُ عَلىٰ قَدحِ الجُهَّالِ وأهلِ البدعِ فيهِ، وطعنهم عليه، وإزرَائهم به، وتَنفيرِ النَّاس عنه، وتَحذيرهم منهُ كمَا كَانَ سَلفهم مِنَ الكُفَّارِ يَفعَلُونَ مَعَ مَتبُوعهِ وإمَامهِ، فأمَّا إن دعاهم إلىٰ ذَلك وقَدَحَ فيمَا هُم عَليه فهُنَالك تَقُومُ قِيَامتهم وَيَبغُونَ لَه الغَوائل ويَنصِبُونَ لَهُ الحَبَائل ويَجلِبُونَ عَليه بِخَيلِ كَبيرهم وَرَجِلِهِ.

فَهُو غَريبٌ في دينهِ لفسادِ أديانهم، غَريبٌ في تمسُّكهِ بالسُّنَّةِ لتَمَسُّكِهم بالبِدَعِ، غَريبٌ في اعتقادهِ لفَسَادِ عقَائِدِهم، غَريبٌ في صَلاتهِ لسُوءِ صلاتهم، غَريبٌ في طريقهِ لضَلالِ وفسادِ طُرقهم، غريبٌ في نسبتهِ لمخالفةِ نِسَبِهِم، غريبٌ في معاشرتهِ لهم لأنَّه يُعاشرهم علىٰ ما لا تهوىٰ أنفسهم.

وبِالجُملَة:

فَهو غريبٌ في أمورِ دنياه وآخرته، لا يَجِدُ مِنَ العامَّةِ مسَاعِدًا ولا معينًا، فهو عَالِمٌ بَينَ جُهَّالٍ، صَاحبُ سُنَّةٍ بين أهلِ بدعٍ، داعٍ إلىٰ الله ورسولهِ بين دُعَاةٍ إلىٰ الأهواءِ والبدعِ، آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف...

إلىٰ أن قلتُ: وهَذا المسلك الَّذي أشارَ إليه الإمام ابن القيم مِنَ التَّنفير مِن عُلَمَاء أَهلِ السُّنَّة هُو مَسلكُ أهلِ البِدَعِ قَديمًا وحديثًا!

وَتَأمل هَذا النَّقل عَن الإمام الشَّاطبي واصفًا بَعض طَرائق أهلِ الأَهوَاء

وَالَّتِي مِنهَا تَقبِيحُ فَتَاوىٰ العُلَمَاء لَدَىٰ العَامَّة تَنفيرًا عَنِ السُّنَّة واتِّباع إهلها!

حيثُ قَال في (الاعتصام) (٢/ ٥٢-ط مشهور): «**وربَّما رَدُّوا فَتَاويهم وقبَّحوها في أَسمَاع العامَّةِ؛ ليُنفِّروا الأمَّةَ عن اتِّباعِ السُّنَّةِ وأهلها**».

فالمقصدُ مِن سُلُوك هَذا المَسلك: الصَّد عَنِ السُّنَّة وأهلها، وهَذا يَدُلُّكَ عَلىٰ أنَّ الصَّد عَن أَهلِ الحَقِّ صدٌّ عَنِ الحَقِّ، وقد جاء في (المصنف) لابن أبي شيبة (١١/ ١٢٨): «الزم الحق يلزمك الحق».

ومنَ المعلوم أنَّ الصِّراع بين الحقِّ والباطل قديمٌ، ومن ذلك بيانُ السُّنَّةِ وَردُّ البِدَع، وقد شبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية -غفر الله له- هذا الصِّرَاع بقوله: «وأهلُ السُّنَّة إذا تقابلوا هم وأهل البدع، فلَهُم نَصيبٌ مِن تَقَابُل المُؤمنين والكفَّار..»[(١)].

ولأجل ذلك كَانَ الرَّد عَلىٰ أهل البِدَعِ وَبيان السُّنَّة مِن أَعظَم أنواعِ الجِهَاد في سبيل الله، فَلا يَنبَغي التَّخَاذل والجبن فيه؛ إذ في ذلك خذلٌ للحقِّ وأهله، وظهورٌ للباطل وتقوية لشوكتِهِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالرَّادُّ علىٰ أهلِ البدعِ مجاهدٌ، حتَّىٰ كانَ يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: الذَّبُّ عن السُّنَّة أفضلُ من الجهاد..»[(٢)].

وقال تلميذه شيخ الإسلام الثَّاني ابن القيم (مدارج السالكين)(١/ ٣٧٢): «واشتَدَّ نَكِيرُ السَّلفِ والأئمَّة لها -أي البدعة- وصَاحوا بأهلها، مِن أقطَارِ الأرضِ وحذَّروا فِتنَتَهُم أشدَّ التَّحذيرِ، وبالغُوا في ذلك ما لم يُبَالِغُوا مثله في إنكارِ الفَوَاحشِ، والظُّلمِ، والعُدوان، إذ مضرَّة البدعِ، وهَدمِهَا للدِّينِ، ومنَافَاتِهَا لَه: أشدّ».

(١) انظر: الرد علىٰ البكري (٢/ ٦٩٣).

(٢) انظر: الفتاوىٰ (٤/ ١٣).

لذا فإنَّ مِن نعم الله علىٰ عباده أن هيَّأ لهم أئمَّة يفطنون للباطل ويردّونه، فينفونَ بذلكَ عن دينِ الله تأويل الجاهلين وانتحالَ المبطلين وتحريف الغَالين.

قالَ شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما في (مجموع الفتاوىٰ) (٩/ ٢٣٣): «والمقصودُ: أنَّ هذه الأُمَّة -ولله الحمد- لم يزل فيها مَن يَتَفَطَّنُ لما في كلامِ أهلِ البَاطلِ مِنَ البَاطِلِ ويردُّه، وهم لِمَا هدَاهُم اللهُ بهِ، يَتَوَافَقُونَ في قَبولِ الحَقِّ، وردِّ البَاطلِ رَأيًا وروايةً مِن غيرِ تَشَاعرٍ ولا تَوَاطؤ».

وهذا يَستدعي مِن عمومِ أهلِ السُّنَّةِ إجلالهم وتقديرهم واحترامهم، وأنَّه مِنَ الواجباتِ عليهم نحوهم؛ لما حملوه من علمٍ نبويٍّ وهديٍ سنِّيٍّ ودعوةٍ صافيةٍ.

وهذا الأمر -أعني التَّقدير والإجلال- هو مِن ثوابتِ أهلِ السُّنَّةِ، ولا تجوزُ زعزَعتُهُ ولا الانفكاك عنه بحالٍ مِنَ الأحوالِ، ولا يعني هذا ادِّعاء العِصمةِ لهم.

لكن في المقابلِ أيضًا لا يعني أن نطَّرِحَهم ونُسيءَ الأدبَ معهم ونَتَطَاول عليهم بعباراتٍ غير لائقة بعيدة عن مسالكِ طلبة العلمِ مع شيوخهم؛ فإنَّ ذلك علامةِ خِذلانِ صاحبِها...

إلىٰ أن قلتُ: وَإنَّ مِن أُولئكَ العُلماء العَاملين المُجَاهدين الَّذين وقَفُوا وقفةَ صِدقٍ في وجهِ البَاطلِ وَأهلهِ وبيان عوارِهِ ودَحضِهِ، مِمَّن نَالَتهم سِهَامُ الظُّلم والجَورِ والجَهل والهَوىٰ: شيخنا العلَّامةُ المحدِّثُ النَّاقدُ المبجَّلُ أبو مُحمَّدٍ رَبِيعُ بن هَادي بن عمير المدخلي -حفظه الله ورعاه ومتَّع به-.

فهذا العَلَمُ الهُمامُ كَم غُصَّت بكتاباتهِ وَرُدودهِ حُلُوق أهل الأهواء بجميع صنوفهم، وشتَّىٰ توجهاتهم؛ فقد كشفَ اللهُ -بمنِّه وكرمه- علىٰ يديهِ كثيرًا مِنَ

الشُّبَه والشُّكوك حول منهج الدَّعوة السَّلفيَّة المباركة، فنفعَ الله بكتاباته كثيرًا جدًّا، وأجلَىٰ غشاوات ظلَّت ردحًا مِنَ الزَّمن عَلىٰ أبصارِ خلقٍ كثيرٍ حَالت دُون بيانِ الحقِّ لهم.

فالحمد لله أوَّلًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا، وجزىٰ الله شيخنا ربيعًا خير الجزاء وأوفاه، علىٰ جهادهِ ضدَّ المشاقين لهدي سيد المرسلين ﷺ وسبيلِ المؤمنين.

فلا نَعرفُ شيخنا إلَّا مدافعًا عن السُّنَّة مُنَافِحًا عنها مجاهدًا في سبيل نصرتها والرَّد عَلَىٰ مَن خالفها، في جهود مَشكورة مباركة -إن شاء الله- مِن كتاباتٍ ومحاضراتٍ ولقاءات وغير ذلك من أوجهِ النَّفع التي سلكها -حفظه الله- بقدر استطاعته.

ولما كانَ الشَّيءُ بالشيء يُذكرُ؛ فإنَّني أُلفتُ النَّظر إلىٰ أنَّ شيخنَا -حفظه المولىٰ- قَد أَثنىٰ عَليه جماعةٌ من أئمَّة العصرِ، وهُم عَلىٰ علمٍ تامٍّ بكتاباتهِ في بيانِ الحقِّ والرَّدِّ علىٰ البَاطلِ، وهذا يدلُّ علىٰ مكانتهِ عندهم لا كمَا يدَّعيه مُرتَزقة العِلمِ!!

فمن أولئك الأئمَّة: **الإمام العلَّامة المحدِّث النَّاقد الفقيه ريحانة الدُّنيا الشَّيخ محمَّد ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقالَ -لما سُئل عَن الذين يطعَنون في الشَّيخ ربيع والشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ-: «نحنُ بلَا شكٍّ نَحمدُ الله عَزَّ وَجَلَّ، أن سخَّرَ لهذه الدَّعوة الصَّالحة القائمة علىٰ الكتاب والسُّنَّة علىٰ منهج السَّلف الصَّالح؛ دعاة عَديدين في مُختَلف البِلَادِ الإسلاميَّة يَقُومون بالفَرض الكفَائي، الَّذي قلَّ مَن يَقُومُ به في العالم الإسلامي اليَوم.

فَالحَطُّ علَىٰ هذين الشَّيخين الشَّيخ: ربيع ومقبل، الدَّاعيين إلىٰ الكتاب

والسُّنَّة وما كانَ عليه السَّلف الصَّالح، ومُحَاربة الذين يُخَالفونَ هَذا المَنهج الصَّحيح؛ هُو كما لا يَخفىٰ علَىٰ الجَميع إنَّما يَصدُرُ مِن أَحَدِ رَجُلين: إمَّا جَاهلٌ، أو صَاحبُ هَوًىٰ.

الجاهِلُ يُمكن هدايته؛ لأنه يَظُنُّ أَنَّهُ عَلىٰ شَيءٍ مِنَ العِلمِ، فَإِذَا تَبَيَّن العِلمَ الصَّحيحَ اهتَدىٰ.

أمَّا صاحبُ الهَوىٰ فَليسَ لنَا إليهِ سَبيل، إلَّا أن يهديه الله -تبارك وتعالىٰ-.

فَهَؤلاء الَّذين يَنتَقدونَ الشَّيخَين -كما ذكرنَا- إمَّا جاهلٌ فيُعَلَّم، وإمَّا صَاحبُ هَوًىٰ، فَيُستَعاذُ بِالله مِن شرِّه، ونَطلُبُ منَ الله ﷻ إمَّا أن يهديَهُ وأمَّا أن يقصمَ ظَهرَهُ»[1].

وقالَ مرَّة: «**إنَّ الذي رأيته في كتابات الشَّيخ الدُّكتور ربيع أنهَّا مفيدة، ولا أذكرُ أنِّي رأيت لَه خطأ، وخروجًا عن المنهج الَّذي نحنُ نلتقي معه ويلتقي معنا فيه**»[2].

والإمام العَلَّامة الفقيه المفسِّرُ محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ لما سُئل عن الشَّيخ ربيع قال: «أنا أُسأَل عن ربيع؟ ربيع يُسأَلُ عنِّي».

من شريط: لقاء مع الشيخين العثيمين وربيع في عنيزة- تسجيلات دار ابن رجب بالمدينة النبوية.

وهذا من كمال تواضعه ومعرفته لأهل العلم قدرهم، وغيرهما كثير، فلا يَعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا ذووه!....

---

(١) من مقدمة كتاب (النصر العزيز علىٰ الرد الوجيز) لشيخنا ربيع بن هادي (ص٦-٧) نقلًا عن أشرطة سلسلة الهدىٰ والنور رقم (٨٥١/ ١).

(٢) انظر: المصدر السابق.

إلىٰ أن قلتُ: والمتأمِّل في مؤلفاتهِ -حفظه الله- الكثيرة في الدِّفاع عن السُّنَّةِ والرَّدِّ علىٰ مخالفيها، يظهرُ له بجلاء: غزارة ورسوخ العلم، والرَّاسخون في العلم قلَّة!

وقد **بيَّن العلامة الشاطبي من هم الرَّاسخون في العلم فقال**: «...**هم الثَّابتو الأقدامِ في علمِ الشَّريعةِ**» الاعتصام[١].

ومَن كانَ كذلك **فهو إذن أهلٌ للهداية والاستنباط**[٢].

وَليس مِنَ العِلمِ في شيءٍ السَّفه والطَّيش والاستخفاف والكذب والسِّبابُ ونحوه من مسالك أهل الظُّلم والهوىٰ، إنَّما العلمُ هُو بَيَانٌ للحق ودَحضٌ للباطل.

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**العلمُ ما جَاء به أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، وما لم يجئ عن واحدٍ منهم فليس بعلمٍ**»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلمُ شَيئان: إمَّا نقل مصدَّقٌ، وإمَّا بحثٌ محقَّقٌ، وما سوىٰ ذلك فهذيانٌ مزوَّق»[٤].

وإنَّ مِن أسباب تسلّط مَن لا خلاقَ لَه علىٰ شيخنا ناصر السُّنَّة ربيع: أنَّ شيخنا سَلكَ مَسلك أئمَّة الهدىٰ في عدمِ المُحَاباة في دين الله.

قالَ الحافظ الخطيب البغدادي بعد نقله لكلام محمد بن حاتم بن المظفر، قال:

«**فليسَ أحدٌ من أهلِ الحديثِ يُحابي في الحديثِ أباهُ، ولا أخاهُ، ولا ولده،**

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٦) ط - مشهور.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: جامع بيان العلم (١/ ٧٩٦).

(٤) انظر: الرد علىٰ البكري (٢/ ٧٢٩).

وهذا علي بن عبد الله بن المديني وهُو إمامُ الحديث في عصرهِ، لا يُروىٰ عنه حَرفٌ في تقوية أبيهِ، بل يُروىٰ عنه ضد ذلك»[1].

ومما يلاحظ علىٰ بعض مَن كتبَ -وسلَّط قلَمه الَّذي لا يرعفُ إلَّا بالشَّر كما يُقال- ونالَ من شيخنا -حفظه الباري-، أنَّه يدَّعي أنَّه عَلىٰ السُّنَّة -زَعم-! وَلَم يسلك سبيلهم، ولا استنَّ بهديهم...

إلىٰ أن قلتُ: وأذكِّرهم أيضًا بقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليحذر العبدُ مسالكَ أهل الظُّلم والجهل الَّذين يرون أنهم يسلكونَ مسالك العُلماء، تَسمعُ مِن أحدِهم جعجعة ولا ترىٰ طِحنًا، فترىٰ أحدهم أنَّه في أعلىٰ درجات العلم وهو إنما يَعلمُ ظاهرًا من الحياة الدُّنيا، ولم يَحُم حولَ العِلم الموروث عن سيِّد ولد آدمﷺ، **وقد تعدَّىٰ علىٰ الأَعراضِ والأموال بكثرةِ القيل والقال.**

فأحدُهم ظَالمٌ جاهلٌ لم يسلك في كلامه مَسلك أصاغر العُلماء، بل يتكلَّم بما هو من جنسِ كلام العامَّة الضُّلَّالِ والقُصَّاصِ والجُهَّالِ، ليس في كلامِ أحدِهم تصويرٌ للصَّوابِ ولا تحريرٌ للجوابِ، كأهلِ العلم أولي الألباب، ولا عنده خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يُحسِنُ التَّقليد الَّذي يعرِفه متوسِّطة الفقهاء؛ لعدمِ معرفته بأقوالِ الأئمَّة ومآخذهم.

والكلامُ في الأحكام الشَّرعية لا يقبَلُ مِن الباطلِ والتَّدليس ما ينفق علىٰ أهل الضَّلالِ والبدعِ الذين لم يأخذوا علومهم عن أنوار النُّبوَّةِ وإنمَّا يتكلَّمون بحسبِ آرائهم وأهوائهم؛ فيتكلَّمونَ بالكذبِ والتَّحريفِ فيُدخِلون في دين الإسلام ما ليس منه وإن كانوا لضلالهم يظنون أنَّه منه، وهيهاتَ هيهاتَ فإنَّ هذا الدِّين محفوظٌ

(١) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص٤١).

بحفظ الله له»[١].

وبقوله أيضًا: «**ولكن كلُّ مَن لم يكن علمه وعمله يرجعُ إلىٰ العلم الموروث عن الرَّسولِ، مقيَّدًا بالشَّريعة النَّبويَّة؛ لم يخلص مِن الأهواءِ والبِدعِ، بل كلُّه أهواء وبدع**»[٢].

وأَختِمُ بَأَن لا ضَيرَ عَلَىٰ شَيخنَا -حفظه الباري-، فمَا يَحدُثُ لَه -ولغيرهِ مِن عُلَماء أَهلِ السُّنَّة السَّلفيين- يُذَكِّرني **بما جرَىٰ بين الحسن بن عُمَارة البَجلي الكوفي، وبين أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقد جاء في ترجمة الحسن **من كتاب (المجروحين)** (١/ ٢٢٩) للحافظ ابن حبان البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن حكىٰ أقوال العلماء في الحسن! ومنهم شعبة والذي ذمَّه ذمًّا شديدًا.

قال الحسن البجلي لما بلغه كلام شعبة: «**الناسُ كلُّهم منِّي في حلٍّ خلا شعبة، فإني لا أجعله في حلٍّ حتىٰ أقف أنا وهو بين يدي الله** عَزَّوَجَلَّ **فيحكمَ بيني وبينه**»!

علَّق ابن حبَّان علىٰ كلام البجلي قائلًا: «كان بليَّة الحسنِ بن عمارة أنَّه كان يُدلِّسُ عن الثِّقاتِ ما وضَعَ عليهم الضعفاء، كان يسمعُ من موسىٰ بن مطير وأبي العطوف وأبان ابن أبي عياش وأضرابهم ثم يسقط أسماءهم ويرويها عن مشايخهم الثقات.

فلمَّا رأىٰ شعبة تلك الأحاديث الموضوعة التي يرويها عن أقوام ثقاتٍ، أنكرها عليه وأطلقَ عليه الجرحَ، ولم يَعلم أنَّ بينه وبينهم هؤلاء الكذابين، فكأنَّ

(١) انظر: الرد علىٰ البكري (١/ ١٧٠-١٧١).

(٢) انظر: الرد علىٰ البكري (١/ ١٧٣).

الحسن بن عمارة هو الجاني علىٰ نفسهِ، بتدليسهم عن هؤلاء وإسقاطهم من الأخبار حتىٰ ألزق الموضوعات به.

وأرجو أنَّ الله ﷻ يرفع لشعبةَ في الجنانِ درجاتٍ لا يبلغها غيره إلَّا مَن عملَ عملهُ؛ بذِّبه الكذبَ عمَّن أخبر الله ﷻ أنَّه لا ينطقُ عن الهوىٰ إن هو إلَّا وحيٌ يوحىٰ ﷺ».

فهاهو شيخنا ربيع بن هادي وإخوانه من العلماء السَّلفيين يقتفون أثرَ شعبة ومَن قبله مِنَ الأئمَّةِ في الذَّبِّ عَنِ الدَّعوةِ السَّلفية الحقَّة، الَّتي هي دين الله الحقِّ، ومنهج رسول الله ﷺ.

فَنسأل الله بمنِّه وكرمه أن يحفظ شيخنا وجميع إخوانه من علماء السُّنَّة وطلابهم من كلِّ سوء ومكروه، وأن يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصَّالح، إنَّه نعم المولىٰ ونعم النصير.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم». انتهىٰ المراد.

وشكر الله لأخينا الشيخ أحمد بن يحيىٰ الزَّاهراني، جهده وجهاده.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتب

عبد الله بن عبد الرَّحيم البخاري

عضو هيئة التدريس في كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية

ضُحىٰ الجمعة ١٤/ ذي الحجّة/ ١٤٢٩هـ

المدينة النَّبويَّة